الصابئة في الفكر الإسلامي

د/ عماد عطية عبد الرازق

أستاذ مقارنة الأديان المساعد بالجامعة الإسلامية –منيسوتا– فرع السنغال

Dr.emadattia88@gmail.com

الملخص

الصابئة من الديانات القديمة التي يكتنفها الغموض والكتمان في كثير من عقائدها وشعائرها، وهذا ما جعل العلماء يختلفون في شأنها، إضافة إلى أنها قد استمدت بعض العقائد والشرائع من اليهودية والمسيحية والإسلام، وقد ذكرها القرآن الكريم في ثلاثة مواطن، في سورة البقرة، وفي سورة المائدة، وفي سورة الحج، وأصل ديانتهم التوحيد؛ لكن شابها بعض الشوائب، التي عكرت صفو العقيدة، كاعتقاد أن بعض الملائكة يخلقون العالم تنفيذا لأمر الله،أما اعتقادهم في الأنبياء والرسل فناقص، كما أنهم يعتقدون أن اليوم الآخر لا علاقة له بالآخرة، إنما هو يوم موازٍ لأيام الدنيا، وعن عبادتهم فهم يلزمون أنفسهم بثلاث صلوات في اليوم يسبقها وضوء، كما يتعبدون بالصوم، لكن بفلسفة مختلفة، ومن أصول طقوسهم التعميد بالماء، الذي يدخل في جل شعائرهم.

الكلمات المفاتيح: الصّابئة / الفكر الإسلاميّ / الآخر/ العقائد / العبادات

Abstract

Sabeanism is one of the ancient religions that are shrouded in mystery and concealment in many of their beliefs and rituals. This, in fact, what makes scholars differ about its definition. In addition, followers of Sabeanism have derived some beliefs and laws from Judaism, Christianity and Islam.the Holy Qur'an mentions Sabeans in three places, in Surat Al-Baqarah and in Surat Al-Ma'idah. And in Surat Al-Hajj, the origin of their religion is monotheism. But it was marred by some impurities, which disturbed the serenity of belief, such as the belief that some angels create the world in implementation of the command of God.Moreover,Ttheir belief in the prophets and messengers is defective, and they also believe that the Last Day has nothing to do with afterlife but is parallel to the days of this world. As for their worship, they obligate themselves with three prayers a day preceded by ablution. They also fast but with a different reasoning. Baptism with water is considered one of the foundations of their rituals and it is used frequently in most of their acts of worship.

❖ المقدمة

المتأمل في القرآن الكريم يجد توصيفاً دقيقاً ومنصفاً في الوقت ذاته للآخر الديني، فحين تناول الصابئة بالحديث عن بعض قضاياها، ذكرها ضمن أصحاب الملل، فقال تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(1)، والآية تعدهم بالأجر وعدم الخوف أو الحزن في الدنيا والآخرة، شريطة تحقيق الإيمان بالله تعالى وحده، واعتقاد قيام

(1) سورة البقرة، الآية 62.

الساعة وما فيها من أحوال وأهوال، وأكدت على هذا المعنى سورة المائدة، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَوَٱلنَّصَٰرَىٰمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِوَٱلۡيَوۡمِٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌعَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡيَحۡزَنُونَ﴾([2]).

ثم يأتي القرآن بطائفتين هم عبدة النار(المجوس)، والمشركون بكل أطيافهم، ينضمان للأصناف الأربعة السابقة، بقصد الفصل بينهم جميعاً يوم القيامة؛ لهذا قال سبحانه في سورة الحج: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَوَٱلنَّصَٰرَىٰوَٱلۡمَجُوسَوَٱلَّذِينَأَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَيَفۡصِلُبَيۡنَهُمۡيَوۡمَٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾([3])، والمعنى: أن الله تعالى «يقضي بينهم لإظهار المحق من المبطل، فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل غيرهم النار؛ لأنه عالم بكل أعمالهم علم مشاهدة، ومراقب لما يتعلق به»([4]).

وتأتي أهمية هذة الدراسة من حيث إنهاتكشف النقاب عن حقيقةقوم ورد ذكرهم في كتاب الله تعالى، وتجيب عن أسئلة كثيره، مثل: من هم؟ وهل هم أصحاب ديانة مستقلة؟ أم فرقة تابعة لليهود والنصارى؟ أم هم إحدى فرق المجوس؟ وهل لهم تواجد اليوم؟ أم اندثرت هذه الطائفة؟ وما عقائدهم؟ وكيف يؤدون عباداتهم وشعائرهم؟

وتشتمل الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وهي كما يلي:

المقدمة تتناول أهمية الموضوع، وسير العمل فيه.

المبحث الأول يتناول التعريف بالصابئة، في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني يناقش أهم عقائد الصابئة.

المبحث الثالث يعالج طقوس الصابئة وشعائرهم التعبدية.

الخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

المبحث الأول: التعريف بالصابئة

(2) سورة المائدة، الآية 69، وقال الخليل وسيبويه: الرفع محمول على التقديم والتأخير، والتقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون والنصارى كذلك. انظر القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2 (دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ – 1964م) ج6، ص246.

(3) سورة الحج، الآية 17.

(4) وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط2 (دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ) ج17، ص 176.

من ضروريات البحث التعرف على أهم مصطلحاته، لهذا يتوجب بيان معنى الصابئة في اللغة، وعند أصحاب هذه الطائفة، وفي اصطلاح العلماء، حتى يتسنى الوقوف على المفهوم المراد مناقشته؛ لهذا فإن الأسطر التالية تعالج هذه المسألة.

أولاً: الصابئة في اللغة

إذا طالعنا معاجم اللغة نجد أن كلمة الصابئة مأخوذة من «صبأ يصبأ صبأ وصبوءًا، وصبؤيصبؤ صبأ وصبوءًا كلاهما: خرج من دين إلى دين آخر، كما تصبأ النجوم أي تخرج من مطالعها»([5])،و«صبأ ناب البعير صبوءًا: طلع حده، واصبأ النجم، أي: طلع الثريا»([6])، وفلان صبأ يعني: دان بدين الصابئين، وهم قوم دينهم شبيه بدين النصارى([7])، والصابئون جمعصابئ، وهو المستحدث سوى دينه ديناً، كالمرتد من أهل الإسلام عن دينه، وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره، تسميه العربصابئاً([8]).

وعلى هذا فإن المعاجم اللغوية تدور في بيانها لكلمة صبأ حول معنى الطلوعوالخروج، والاستحداث لعقيدة أخرى.

معنى الصابئة في الفكر المندائي

كلمةصابئي تشتق من فعل صبا، الذي يعني تعمَّد أو اصطبغ، وعليه فإن صابئي يعني التعمد بالماء؛لأنه شعار عندهم([9])، حيث يردد الصابئة أثناء مراسم التعميد باللغة الآرامية (انش صابي بمصبتهشلمى)، وتعني هذه العبارة (كل من يتعمَّد بالمعمودية يسلم)([10])، والمستشرق (نولدكه) ربط اشتقاق الكلمة بصب الماء، في إشارة واضحة لأهمية استخدام الصابئة للماء([11])،وأكدت على ذلك المستشرقة (الليدي دراوور) أن صبا تعني الارتماس والاغتسال

---

(5) ابن منظور،**لسان العرب**، ط3 (دار صادر، بيروت، 1414ه) ج1، ص108، وانظر: محمد بن أبي بكر الرازي،**مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5 (المكتبة العصرية، بيروت، 1420ه – 1999م) ص172.

(6) الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4 (دار العلم للملايين، بيروت،1407ه – 1987م) ج1، ص59.

(7) الفراهيدي، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي (دار ومكتبة الهلال، د. م)ج7، ص 171.

(8) الطبري،**جامع البيانفي تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1 (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420ه – 2000م) ج2، ص145، وينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط1 (عالم الكتب،بيروت، 1408ه – 1988م) ج1، ص147، ولقد كانت قريشا يقولون لكل من أسلم صبأ، حتى اشتهرت هذه اللفظة وصاروا يطلقونها في مقام الذم، ومن ثم لما أسلم ثمامة بن أثال وقدم مكة معتمراً، قالوا له: صبأت، قال: لا، بل أسلمت، فلما اشتهرت هذه اللفظة بينهم في موضع أسلمت استعملها هؤلاء. انظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، د.ط (دار المعرفة، بيروت، 1379ه) ج8، ص57.

(9) غضبان رومي الناشي،**تعاليم دينية لأبناء الصابئة**، د. ط (مطبعة دار الجاحظ، بغداد، 1972م) ص4.

(10) سليم برنجي،**الصابئة المندائيون**، ترجمة: جابر أحمد،د. ط (دار الكنوز، د.م، د.ت) ص15.

(11) رؤوف سبهاني،**الصابئة المندائية في إيران**، د. ط (دار المحجة البيضاء، د.م، د. ت) ص12.

بالماء الجاري([12])، وقد أخذت على مفسري القرآن الكريم أنهم لم يحاولوا الغوص في أصل اشتقاق هذه الكلمة، وخاصة في اللغة الآرامية، حيث إنها لغتها الأصلية([13])، والحاصل أن (صبا) كلمة آرامية –حسب المعتقد الصابئي– تعني الاغتسال واستعمال الماء بقصد التعميد، إذ هو أحد أهم طقوسهم.

معنى الصابئة في الاصطلاح

أما الصابئة في الاصطلاح، فقد اضطربت أقوال المؤرخين والعلماء في حقيقتهم، واختلفت أقلامهم في تحديد تعريف اصطلاحي يتعلق بشأنهم، ومن هنا لم يجتمعوا على شيءتطمئن إليه القلوب،حيث قيل: إن الصابئين همقوم بين المجوس واليهود، لا دين لهم([14])، وقيل: هم قوم بين النصارى والمجوس([15])، وقيل: «هم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة»([16])، وسر التسمية بالصابئة؛ لأنه من صبأ إذا مال،فهم مالوا عن سائر الأديان إلى دينهم، أو من الحق إلى الباطل([17])، وقيل: هم عبدة الكواكب([18]).

وقيل: هم أكتم الناس لعبادة الأوثان، ويعلمون صبيانهم كتمانها([19])،وقيل: هم قوم من أهل الكتاب([20])،وقيل: هم قوم موحدون يعتقدون تأثير النجوم، ويقرون ببعض الأنبياء كيحيى عليه السلام، وقيل: إنهم يصلون إلى الكعبة،

(12) الليدي دراوور، **الصابئة المندائيون**، ترجمة نعيم بدوي، وغضبان الرومي، ط2 (دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 2006م)ص8.

(13) الليدي دراوور، **الصابئة المندائيون**، ص9.

(14) الطبري،**جامع البيان**،ج2، ص146.

(15) البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418ه) ج1، ص84.

(16) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط3 (دار الكتاب العربي، بيروت، 1407ه) ج1، ص146.

(17) البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418ه) ج1، ص84.

(18) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ط3 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420ه) ج3، ص536.

(19) محمد أبو زهرة،**زهرة التفاسير**، د. ط (دار الفكر العربي، د.م، د. ت) ج1، ص256.

(20) البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420ه) ج1، ص124.

وقيل: إلى مهب الجنوب، وقد أخذوا من كل دين شيئاً([21])، ونقل ابن كثير في تفسيره أنوهب بن منبه([22]) سُئِل عن الصابئين فقال: «الذي يعرف الله وحده،وليست له شريعة يعمل بها، ولم يحدث كفراً»([23])، وقيل هم أهل دين من الأديان، كانوا يسكنون جزيرة الموصل، يشهدون ألا إله إلا الله، لكن ليس لهم كتاب ولا نبي، ولم يؤمنوا برسول([24]).

وقد لخص ابن تيميةرحمه الله الخلاف الدائر بين المفسرين والمؤرخين والباحثين، ذاكراً أن الصابئة نوعان:**الصابئة الحنفاء**، وهم قوم عرفوا الله تعالى ولم يشركوا به شيئا، ولم يكفروا به، وهؤلاء هم الذين مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾([25]).

والنوع الثاني: **الصابئة المشركون**، وهم عبدة الملائكة، وقيل عبدة الكواكب([26])، وهم من سكن أرض حرَّان([27])، ولعل هؤلاء هم الذين ناظرهم إبراهيم عليه السلام.

والإشكال في حكم العلماء والمؤرخين على الصابئة، يأتي من وضع الصابئة بجميع طوائفها في كفة واحدة، وهذا ما فطن إليه ابن تيمية في التقسيم السابق، ومن هنا يمكنني القول: إن الصابئة متعددة الطوائف، أشهرها **طائفة الحرَّانية**، التي تتسق مع كثير من أوصاف العلماء.

---

(21) الألوسي،**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط1 (دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ) ج1، ص279.

(22) أبو عبد الله بن منبه اليماني، صاحب الأخبار والقصص، وكانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وسير الملوك، مات وهب بن منبه بصنعاء سنة عشر ومائة في أول خلافة هشام بن عبد الملك، ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيانوأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس (دار صادر، بيروت، 1900م) ج6، ص 35، وينظر: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1 (دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ – 1990م) ج6، ص71.

(23) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1 (دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ) ج1، ص184.

(24) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج1، ص184.

(25) سورة البقرة، الآية 62.

(26) ابن تيمية، **الرد على المنطقيين** (دار المعرفة، لبنان، د.ت)ص: 455– 457.

(27) حرَّان: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي على طريق الموصل والشام والروم، قيل:سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام، لأنه أول من بناها فعرّبت فقيل حرّان، وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان، وكانت منازل الصابئة. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ط2 (دار صادر، بيروت، 1995م) ج2، ص235.

وطائفة **الصابئة المندائية**، وهي الوحيدة الباقية إلى اليوم، والتي تعتبر يحيى عليه السلام نبيًّا لها([28])، يقول صاحب الظلال:«والصابئون: الأرجح أنهم تلك الطائفة من مشركي العرب قبل البعثة، الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الأصنام، فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها، فاهتدوا إلى التوحيد، وقالوا: إنهم يتعبدون على الحنيفية الأولى، ملة إبراهيم، واعتزلوا عبادة قومهم دون أن تكون لهم دعوة فيهم، فقال عنهم المشركون: إنهم صبأوا، ومن ثمَّ سموا الصابئة، وهذا القول أرجح من القول بأنهم عبدة النجوم كما جاء في بعض التفاسير»([29])

ومندائي كلمة آرامية، تتكون من مقطعين: الأول: صفة مندا، التي تعني العلم والمعرفة، والثاني: ياء النسب (ي)، ومجموعهما يعني: صاحب الدراية الإلهية، أو العارف بالله([30])،أما عن أماكن تواجدهم اليوم، فهم يسكنون وسط وجنوب العراق، على ضفاف نهري دجلة والفرات، ويسكنون أيضاً غرب إيران حول نهر كارون([31])، والسر في التفافهم حول الأنهار هو طقس التعميد.

المبحث الثاني: عقائد الصابئة

في هذا المبحث نتناولطرفاً من معتقدات الصابئة المندائية في الإله، ثم في الملائكة، وكذلك في الأنبياء والرسل، وفي اليوم الآخر، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: عقيدة الصابئة في الإله

يعتقد الصابئون أن الإله هو الخالق العظيم، الحي الأزلي، الذي انبعثت من لدنه وبأمره كل المخلوقات، خلق آدم وحواء بقوته وإرادته، حيث خلق آدم من طين، وخلق حواء من الطينة نفسها، ونفخ نسمة الحياة في جسديهما، وجعل ملائكة النور في خدمة آدم، ونصوص كتابهم المقدس تصف الإله بأوصاف التقديس والتعظيم، ومن ذلك، (مسبَّح الرب ومزكَّاة ذاته، رب العوالم كلها، مسبَّح مبارك ومسبَّح معظَّم، ذو الوقار الله الرب العلي، سبحانه ملك الأنوار العلي، الله الحق العظيم الذي لا يحد، وليس له شبيه، ذو النور الزكي، النور العظيم الباقي، الغفور التواب،

(28) مانع بن حماد الجهني، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، ط4 (دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض،1420هـ) ج2، ص714.

(29) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ط32 (دار الشروق،بيروت،1423هـ– 2003م) ج1، ص75.

(30) ينظر: سليم برنجي،**الصابئة المندائيون**، ص50.

(31)يُنظر: رشيد الخيون، **الأديان والمذاهب بالعراق**، ط2 (د.د: العراق، 2007م)ص25.

ذو الرأي والرحمة، العزيز الحكيم العليم البصير([32])، وقد جاء في كتابهم المقدس (كنزا ربا) يمين، في التسبيح الأول، تحت عنوان التوحيد، هذا الوصف عن الإله (باسم الحي العظيم([33])، مسبَّح ربي بقلب نقي، هو الحي العظيم، البصير القدير العليم، العزيز الحكيم)([34])، وجاء أيضاً: (هو الملك منذ الأزل. ثابت عرشه. عظيم ملكوته، لا أب له ولا ولد. ولا يشاركه في ملكه أحد) ([35]).

وهذه الأوصاف فيها من التمجيد والتعظيم للإله ما تتشابه به عقيدتهم مع عقيدة المسلمين، بيد أن صفاء هذه العقيدة لا يسلم من انحراف يظهر جلياً في اعتقادهم «بأن النجوم والكواكب تحتوي على مخلوقات حية؛ هي أرواح ثانوية تابعة لأمر ملك النور (ملكاد نهورا)، وأنها تتحكم بمصائر البشر، ويصاحب هذه الأرواح الخيرة أضدادها من الأرواح الشريرة؛ ففي فلك الشمس (شامش) ينتصب شامش الخير النافع، رمز الخصب والخضرة ومعه الروح الشريرة المهلك (أدوناي) مع أرواح نورانية حارسة أخرى، فالصابئون إنما يوجهون دعاءهم للأرواح الخيرة النورانية فقط، وليس لتلك التي تخص عالم الظلام([36])، والحق أن أصل ديانة الصابئة التوحيد؛ إلاأن هذه العقيدة قد صاحبها غبشاً في اعتقاد وجود مخلوقات حية تحتويها النجوم والكواكب، ولها قدرات خارقة في التحكم بمصائر الخلائق.

ثانياً: عقيدة الصابئة في الملائكةيعتقد الصابئون بوجود الملائكة وأن الله هو الذي خلقها، حيث جاء في نص كنزا ربًّا (منه كان الملائكة والأُثريون)([37])، أي: من الإله، كما أكد كتابهم المقدس

---

(32) ناجية مراني، **مفاهيم صابئية مندائية**، ط2 (مطبعة شركة التامس للطبع والنشر، بغداد، 1981م) ص90، 91، ويُنظر: غضبان رومي الناشي،**تعاليم دينية لأبناء الصابئة**، ص9.

(33) باسم الحي العظيم، تقابل البسملة في مفتتح كل سورة قرآنية.

(34) **كنزا ربا**، يمين، فقرة 1، 2، وكتاب كنزا ربا ترجمه إلى اللغة العربية كلاً من: يوسف مي قوزي، وصبيح مدلول السهيري عام 2000.

(35) **كنزا ربا**، يمين، تسبيح 1، فقرة 34، 35.

(36) الليدي دراوور، **الصابئة المندائيون**، ص24.

(37) **كنزا ربا**، يمين، تسبيح 2 فقرة 2، والأُثريين: كلمة آرامية، تعني الثراء أو الوفرة والزيادة، وهم من جنس من الملائكة، كناية عن كثرة أعدادهم، ينظر: منذر الحايك، **كنزا ربًّا الكتاب المقدس للمندائيين دراسة مقارنة**، ط1 (دار صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 2016م) ص49

على خلق جبريل عليه السلام، حيث جاء ما نصه: (يا خالق هيبل زيوا جبرائيل الرسول، ومرسله إلى عالم الظلام)([38])، وعن تسبيح الملائكة لله نص كتابهم: (ملائكة الضياء تسبِّح لملك النور بالضياء الذي وهبه إياهم، ملائكة الضياء تسبِّح لملك النور بثياب الضياء الذي وهبها إياهم)([39])،لكن الخلل عندهم هو في الاعتقاد بأن بعض الملائكة يعلمون الغيب، وينوبون عن الله في الخلق، مثل (بثاهيل) أحد ملائكة الحياة([40])، الذي يقوم بخلق العالم، تنفذاًلأمر الله، وفي كنزا ربا نص يقول: (قال ملك النور السامي قوله، فكان كل شيء. نزل بثاهيل، فرفع السماء، وبسط الأرض، ونادى ملائكة النار)([41])،وهذا يؤكد أن بعض الملائكة في المعتقد المندائي لهم حظوة، ويتمتعون ببعض الصفات الإلهية، كالخلق والتدبير، وهو ما يهدم عقيدة التوحيد من جذورها.

ثالثاً: عقيدة الصابئة في الأنبياء والرسل

يؤمن الصابئة ببعض الأنبياء والمرسلين دون بقيتهم، وأول نبي لهم هو آدم عليه السلام، ويحتفظ المندائيون بصُحُفِه، وقد ضمَّنوها كتاب كنزا ربَّا، ومن أنبيائهم النبي شيتل بن آدم،ثم نوح عليه السلام، ثم ابنه سام بن نوح (المتعبد الخاشع)([42])، وآخرهميحى بن زكريا عليهما السلام([43])،وفي المعتقد المندائي كان يحيى يعمِّد الناس في نهر الأردن، وكان يشفي المرضى، ويفتح عيون العمي، ويقوِّم المقعدين بقوة ملك الأنوار الأعظم([44])، ولذلك تجدمن كتبهم المقدسة كتاب **(دراشةإديهيا)**:الذي يقدم تعاليم يحيىوحياته

ويعتقدون أن هؤلاء الأنبياء والرسل كائنات نورانية، مثل (هيبل زيوا) جبرائيل عليه السلام، ولا يمكن أن يكونوا بشراً؛ لأن البشر خطاؤون، فلا يصلحوا أن يكونوا سفراء بين الله وخلقه([45])، وهذا ما دعا الإمام الشهرستاني ليقول عنهم: «ومذهب هؤلاء: أن للعالم صانعاً، فاطراً، حكيماً، مقدساً عن سمات الحدثان، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه، وهم الروحانيون،

---

(38) **كنزا ربا**، يمين، تسبيح 2 فقرة 26.

(39) **كنزا ربا**، يمين، تسبيح 1 فقرة 44، 45.

(40)ينظر: منذر الحايك، **كنزا ربَّا الكتاب المقدس للمندائيين دراسة مقارنة**، ص53.

(41) **كنزا ربا**، يمين، تسبيح 2 فقرة 43، 44.

(42) محمد نمر المدني، **الصابئة المندائيون العقيدة والتاريخ**، ط1 (دار ومؤسسة رسلان، دمشق، 2009م)ص25، 26.

(43) غضبان رومي الناشي،**تعاليم دينية لأبناء الصابئة**، ص9.

(44) ناجية مراني، **مفاهيم صابئية مندائية**، ص67، 68.

(45) يُنظر: رشيد الخيون، **الأديان والمذاهب بالعراق**، ص26.

المطهرون، المقدسون جوهراً، وفعلاً، وحالةً»([46])، ولا يؤمنونبرسالة موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، اعتقاداً منهم أن ملكة الشر (الروها) هي التي أرسلتهم([47])، وهنا تكمن خطورة المعتقد، الذي يذهب بصحة إيمانهم، ويقلب عقيدتهم رأساً على عقب.

رابعاً: عقيدة الصابئة في اليوم الآخر

يعتقد الصابئون أن الشخص إذا مات، فإن ملكين يستقبلان روحه، أحدهما يسمى (صاوريلنشرويه)، والآخر يسمى (قماميرزيوره)([48])،كما يعتقدون أن الموت هو الانتقال من عالم مادي إلى عالم روحاني، يفنى فيه الجسد وتبقى الروح، وتحاسب في الآخرة على ما قدَّم صاحبها، إن خيراً سعد في الجنة (عالم الأنوار)، وإن شراً شقي في جهنم (عالم الظلام)([49])، فهم يعتقدون بنهاية العالم، لكنهم يؤمنون بأن اليوم الآخر هو عالم موازي، بمعنى أنه كائن في اللحظة نفسها، كما يعتقدون أن الروح خالدة، بينما الجسد فانٍ([50]).

ولا شك أن اعتقاد الصابئة في اليوم الآخر يلتقي بعض الشيئ مع عقيدة المسلمين، لكنه يختلف في كثير منها، كاسم الملكين، وأسماء الجنة والنار، ومسألة العالم الموازي التي تدلل على إنكارهم له بالأساس.

المبحث الثالث: طقوسالصابئة وشعائرهم التعبدية

الطقس الديني عند الصابئة هو «مجموعة الإجراءات المرتبطة بمعتقد معين، تتم بشكل ثابت ودوري من أجل إظهار المشاعر والأحاسيس وتعابير النفس الإيمانية إزاء أحداث وحالات أساسية في حياة الفرد، ويكون على شكل صلوات وأدعية وتراتيل تعبر عن المكنون الذي يختزنه العقل عما يؤمن به، وهذه الأمور تقود الإنسان لتفريغ الشحنات الانفعالية والعاطفية، التي تجيش بها نفسه نتيجة لما يعتمل في عقله ولبه»([51])، والصابئة المندائية عندها جملة من الطقوس، التي تعد ترجمة لما يعتقده كل واحد منهم، ومن هذه الطقوس:

أولاً:طقس التعميد

---

(46) الشهرستاني، **الملل والنحل**،ج2، ص64.

(47) محمد نمر المدني، **الصابئة المندائيون العقيدة والتاريخ**، ص15.

(48) السيد عبد الرازق الحسني، **الصابئة قديماً وحديثاً**، ط1 (مكتبة الخانجي، القاهرة، 1350هـ– 1931م) ص36.

(49)يُنظر: غضبان رومي الناشي،**تعاليم دينية لأبناء الصابئة**، ص10، 11، وينظر: سليم برنجي، **الصابئة المندائيون**، ص260

(50) يُنظر: أحمد العدوي،**الصابئة**منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، ط1 (رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012م) ص81.

(51) قيس السعدي، **طقوس الصابئة المندائيين**، ط1 (درابشا،ألمانيا، 2015م) ص22، 23.

التعميد يعتبرمن الواجبات الدينية المقدسة، إذ بدونه لا يكون الفرد صابئياً، وهو عبارة عن الارتماس بالماء، والغطس فيه ثلاث مرات، ورسم جبين المتعمد، ثم مسحه بدهن السمسم بعد خروجه من الماء، مع تلاوة أدعية خاصة على يد كاهنترميذه أو كنزبرا([52])،شريطة أن يرتدتي المتعمد الملابس الدينية (رسته)([53])، التي تتكون من ثوب طويل، يسمى (الدشداشة)، وعمامة تسمى (برزنقاهوارا)، وحزام صوفي أبيض بطول متر إلى مترين ونصف، يسمى (همبانة)، وسروال يسمى (شلوارا)، وشال حول الرقبة يسمى (نصيفة)([54])، والصابئون يعتقدون في التعميد رمزية الدخول في الديانة المندائية، ورمزية التوبة الصادقة، إضافة إلى أنه يعتبر قسم وعهد يتبادله المعمد والمتعمد، ونظافة روحانية معنوية تخلص المندائي من الخطيئة، وتقربه من الله([55])، كما أن التعميد يدخل في جل طقوسهم، كطقس الولادة، وطقس الزواج، حيث يجب تعميد الزوجين عند النهر لإتمام عقد الزواج، فهو بمثابة العهد والميثاق بينهما أمام الله([56])، وكذلك يجب على كل مندائي أن يتعمد في كل مناسبة، وفي كل عيد من أعيادهم([57])، وخلاصة القول: إن التعميد عندهم طقس يدل على الندم من جهة، وعلى الطهارة الجسدية والمعنوية من جهة أخرى.

---

(52) يشترط في رجل الدين أن يكون سليم الجسم، صحيح الحواس، متزوجاً منجباً، غير مختون، وله كلمة نافذة في شؤون الطائفة كحالات الولادة والتسمية والتعميد والزواج والصلاة والذبح والجنازة، ورتبهم على النحو التالي:

أولاً: الحلالي: ويسمى "الشماس"يسير في الجنازات، ويقيم سنن الذبح للعامة، ولايتزوج إلا بكراً، فإذا تزوج ثيباً سقطت مرتبته ومنع من وظيفته إلا إذا تعمد هو وزوجته 360مرة في ماء النهر الجاري، **ثانياً: الترميدة:** إذا فقه الحلالي الكتابين المقدَّسين سدره إنشماثا والنياني أي كتابَيْ التعميد والأذكار فإنه يتعمد بالارتماس في الماء الموجود في المندي ويبقى بعدها سبعة أيام مستيقظاً لا تغمض له عين حتى لا يحتلم، ويترقى بعدها هذا الحلالي إلى ترميدة، وتنحصر وظيفته في العقد على البنات الأبكار، **ثالثاً: الأبيسق:** الترميدة الذي يختص في العقد على الأرامل يتحول إلى أبيسق ولا ينتقل من مرتبته هذه، **رابعاً: الكنزبرا:** الترميدة الفاضل الذي لم يعقد على الثيبات مطلقاً يمكنه أن ينتقل إلى كنزبرا وذلك إذا حفظ كتاب الكنزاربّا فيصبح حينئذٍ مفسراً له، ويجوز له ما لا يجوز لغيره، فلو قتل واحداً من أفراد الطائفة لا يقتص منه لأنه وكيل الرئيس الإلهي عليها، **خامساً: الريش أمه:** أي رئيس الأمة، وصاحب الكلمة النافذة فيها ولا يوجد بين صابئة اليوم من بلغ هذه الدرجة لأنها تحتاج إلى علم وفير وقدرة فائقة، **سادساً: الربّاني:** وفق هذه الديانة لم يصل إلى هذه الدرجة إلا يحيي بن زكريا عليهما **السلام. ينظر:**محمد نمر المدني، **الصابئة المندائيون العقيدة والتاريخ**، ص52.

(53)يُنظر: غضبان رومي الناشي،**تعاليم دينية لأبناء الصابئة**، ص5.

(54) ينظر: سليم برنجي،**الصابئة المندائيون**، ص184.

(55) غسان صباح النصار، علاء كاظم نشمي، **العهد المندائي الجديد**، د. ط (د. د، بغداد، 1997م) ص20، 21.

(56) ينظر: سليم برنجي،**الصابئة المندائيون**، ص196.

(57) ينظر: سليم برنجي،**الصابئة المندائيون**، ص184.

ثانياً: طقس الصلاة(البراخة)

هي اللحظة التي يتجرد فيها المندائي للحي العظيم، فيتصل به روحياً، بعد تهيئة جسده لتلك المقابلة عن طريق الرشامة (الوضوء)([58])، وتؤدى ثلاث مرات في اليوم عند كل طوائفهم([59])، صلاة الصبح، ويحين وقتها مع أول الصباح، وانبثاق الضوء، وهي تقابل صلاة الفجر عند المسلمين،أما صلاة الظهر، فتكون مع انتصاف النهار واعتلاء الشمس منتصف عرش السماء، ووقتها عندهم يكون بعد الصلاة الأولى بسبع ساعات، وتؤدى صلاة بعد الظهر قبل الغروب([60])، يعترفالمندائي في هذه الصلوات بوجود الواحد الأحد، الخالق الكبير، ثم يرتل تسبيحة السلام على الملائكة ([61])، وقبلتهم تجاه نجم الشمالي، وهو اتجاه عالم النور (آلما دنهورا) ([62]).

شروط الصلاة

يشترط لصحة الصلاة في المندائية جملة من الشروط، مثل:([63])

1– الرشامة: (الوضوء)، فلا تصح الصلاة بدونه.

2– طهارة المكان ونظافته، ووضع روائح زكية فيه.

3– وضع غطاء على الرأس، من باب الاحترام للخالق.

4– تطهير النفس والقلب من كل المحرمات، ومحبة الناس، فلا تقبل الصلاة مع الخصام.

5– الاتصال الروحي، بحيث يجب أن تعبر عما يدور داخل الإنسان.

ثالثاً: طقس الصوم

تمارس الصابئة شعيرة الصوم، من خلال محور الصوم الكبير، الذي يعني عندهم البعد عن كل قبيح من الأقوال والأفعال؛ لهذا جاء في كتابهم المقدس: (صوموا الصوم الكبير، صوم القلب والعقل والضمير، لا تغمز، ولا تلمز، لا تنظروا إلى الشر ولا تفعلوه، والباطل لا تسمعوه، ولا تنصتوا خلف الأبواب، ونزهوا أفواهكم عن الكذب، واليف

(58) غسان صباح النصار، علاء كاظم نشمي، **العهد المندائي الجديد**، ص12.

(59) الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج2، ص 115.

(60) ينظر: غسان صباح النصار، علاء كاظم نشمي، **العهد المندائي الجديد**، ص13.

(61) ينظر: سليم برنجي،**الصابئة المندائيون**، ص230، 231.

(62) ينظر: غسان صباح النصار،علاء كاظم نشمي، **العهد المندائي الجديد**، ص14.

(63) غسان صباح النصار، علاء كاظم نشمي، **العهد المندائي الجديد**، ص14.

لا تقربوه، أمسكوا قلوبكم عن الضغينة والحسد والتفرقة)([64])،أما محور الصوم الصغير، فيمتنعون فيه عن أكل لحوم الحيوانات والأسماك لمدة تزيد عن الثلاثين يوماً طوال أيام السنة([65])، والصوم بهذه الممارسة يختلف عما في الإسلام.

هذه بعض الطقوس والشعائر التعبدية التي يمارسها المندائيون، وإلا فهي كثيرة جداً، تحتاج إلى دراسة أكبر لعرضها ومناقشتها، كطقس الزكاة أو الصدقة، وطقس الزواج، وطقس الوفاة إلى غير ذلك.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة البحثية المباركة حول ديانة الصابئة، يحسن في خاتمتها وضع أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة، وهي على النحو الآتي:

1– الصابئة أصل عقيدتها التوحيد، لكنها حادت عن جادَّة الطريق، بسبب معتقداتهم في الملائكة.

2– الصابئة فكر يكتنفه الغموض، ولعل السبب في هذا هو استمدادها كثير من عقائدها من ديانات أخرى، مما أدى إلى تباين أراء العلماء فيهم.

3– طوائف الصابئة متعددة، مما يعني أنها ليست على وزان واحد، وأشهر هذه الطوائفالحرانية التي اندثرت، والمندائية التي لها حضور الآن في العراق وإيران، ربما يزيد عن السبعين ألفاً.

4– جُمعت عقائد وعبادات وطقوس الصابئة في جملة من الكتب التي يقدسها المندائيون، أشهرها كتاب كنزا ربًّا، وكتاب دراشةإديهيا، وكتاب الفلستا، وكتاب ديوان طقوس التطهير، وغيرها.

5– أدب القرآن الكريم في حديثه عن الآخر الديني، وتقرير مبدأ الإنصاف الذي ينتهجه في وصف الآخر عبر إظهار عقائده وشعائره دون غضاضة.

ومن هنا أوصي المؤسسات والمراكز البحثية، والباحثين خاصة في مجال مقارنة الأديان بإظهار هذا الجانب المشرق في حق كتاب الله تعالى، الذي﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾([66])، كما أوصيهم

(64) **كنزا ربا**، يمين، تسبيح 2 فقرة 105 –112.

(65) محمد نمر المدني، **الصابئة المندائيون العقيدة والتاريخ**، ص54.

(66) سورة فصلت، الآية: 42.

بكشف النقاب عن مثل هذه الديانة، وتحرير الخلاف بين العلماء في شأنهم، والإجابة عن كثير من الأسئلة التي تدور في خلد الناس.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

(كنزا ربًّا) كتاب الصابئة المقدس، ترجمه إلى اللغة العربية كلاً من: يوسف مي قوزي، وصبيح مدلول السهيري عام 2000.

1) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2 (دار الكتب المصـــرية، القاهرة، 1384هـ – 1964م)
2) ابن تيمية، **الرد على المنطقيين** (دار المعرفة، لبنان، د.ت).
3) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، د.ط (دار المعرفة، بيروت، 1379هـ).
4) ابن خلكان، **وفيات الأعيانوأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس (دار صادر، بيروت، 1900م).
5) ابن ســـعد، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1 (دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ – 1990م).
6) ابن كثير، **تفســـير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حســـين شـــمس الدين، ط1 (دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ).
7) ابن منظور، **لسان العرب**، ط3 (دار صادر، بيروت، 1414هـ)
8) أحمد العدوي، **الصابئة** منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، ط1 (رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012م).
9) الألوســي،**روح المعاني في تفسـير القرآن العظيم والسـبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط1 (دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ).
10)البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ).
11)البيضـــاوي، **أنوار التنزيل وأســـرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشـــلي، ط1 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ).
12)البيضـــاوي، **أنوار التنزيل وأســـرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشـــلي، ط1 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ).
13)الجوهري، **الصـــحاح تاج اللغة وصـــحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4 (دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ – 1987م)

14)الرازي، **مفاتيح الغيب**، ط3 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420ه).
15)رشيد الخيون، **الأديان والمذاهب بالعراق**، ط2 (د.د: العراق، 2007م).
16)رؤوف سبهاني، **الصابئة المندائية في إيران**، د. ط (دار المحجة البيضاء، د.م، د. ت).
17) الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبده شـــلبي، ط1(عالم الكتب، بيروت، 1408ه–1988م).
18)الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط3 (دار الكتاب العربي، بيروت، 1407ه)
19)سليم برنجي، **الصابئة المندائيون**، ترجمة: جابر أحمد، د. ط (دار الكنوز، د.م، د.ت).
20)السيد عبد الرازق الحسني، **الصابئة قديماً وحديثاً**، ط1 (مكتبة الخانجي، القاهرة، 1350ه– 1931م).
21)سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ط32 (دار الشروق، بيروت، 1423ه– 2003م).
22)الطبري،**جامع البيانفي تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1 (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـــ – 2000م)
23)غسان صباح النصار، علاء كاظم نشمي، **العهد المندائي الجديد**، د. ط (د. د، بغداد، 1997م).
24)غضبان رومي الناشي، **تعاليم دينية لأبناء الصابئة**، د. ط (مطبعة دار الجاحظ، بغداد، 1972م).
25)الفراهيدي، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي (دار ومكتبة الهلال، د. م).
26)قيس السعدي، **طقوس الصابئة المندائيين**، ط1 (درابشا، ألمانيا، 2015م).
27)الليدي دراوور، **الصـابئة المندائيون**، ترجمة نعيم بدوي، وغضـبان الرومي، ط2 (دار المدى للثقافة والنشـر، دمشق، 2006م)
28)مانع بن حماد الجهني، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، ط4 (دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 1420ه).
29)محمد أبو زهرة،**زهرة التفاسير**، د. ط (دار الفكر العربي، د.م، د. ت).
30)محمد بن أبي بكر الرازي،**مختار الصـحاح**، تحقيق: يوسـف الشـيخ محمد، ط5 (المكتبة العصـرية، بيروت، 1420ه – 1999م)
31)محمد نمر المدني، **الصابئة المندائيون العقيدة والتاريخ**، ط1 (دار ومؤسسة رسلان، دمشق، 2009م).
32)منذر الحايك، **كنزا ربَّا الكتاب المقدس للمندائيين دراســة مقارنة**، ط1 (دار صــفحات للدراســات والنشــر والتوزيع، دمشق، 2016م).
33)ناجية مراني، **مفاهيم صابئية مندائية**، ط2 (مطبعة شركة التامس للطبع والنشر، بغداد، 1981م)
34)وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط2 (دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418ه).
35)ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ط2 (دار صادر، بيروت، 1995م).